❁ ❁ ❁

تفسير سورة الطارق

وهي مكية. قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد ـ قال عبد الله: وسمعته أنا منه ـ حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عبد الرحمن ابن خالد بن أبي جبل العُدْواني، عن أبيه: أنه أبصر رسول الله ﷺ في مُشرّق ثقيف وهو قائم على قوس ـ أو: عصا ـ حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعته يقول: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾، حتى ختمها ـ قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام ـ قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه.

وقال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور، حدثنا أبو نعيم، عن مسْعَر، عن محارب بن دِثَار، عن جابر قال: صلى معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: «أفتأن يا معاذ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها، ونحو هذا؟».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾.

يقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾،

ثم فسره بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾. قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار. ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي: يأتيهم فجأة بالليل. وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». وقوله: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: قال ابن عباس: المضيء. وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها. وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان. وقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الرعد: ١١].

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾: تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خُلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. وقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ يعني: المني، يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله، ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ يعني: صلب الرجل وترائب المرأة، وهو صدرها. قال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾: صلب الرجل وترائب المرأة، أصفر رقيق، لا يكون الولد إلا منهما. وكذا قال سعيد بن جُبير، وعكرمة، وقتادة والسُّدي، وغيرهم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مِسْعَر: سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ قال: هذه الترائب. ووضع يده على صدره. وقال الضحاك وعطية، عن ابن عباس: تريبة المرأة موضع القلادة. وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جُبَير. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائب: بين ثدييها. وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر. وعنه أيضاً: الترائب أسفل من التراقي. وقال سفيان الثوري: فوق الثديين. وعن سعيد بن جُبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل. وعن الضحاك: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين. وقال الليث بن سعد عن مَعْمَر بن أبي حبيبة المدني: أنه بلغه في قول الله ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ قال: هو عصارة القلب، من هناك يكون الولد. وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾: من بين صلبه ونحره. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾، فيه قولان:

أحدهما: على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك. قاله مجاهد، وعكرمة، وغيرهما. **والقول الثاني**: إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي: إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة. وقد ذكر الله، ﷻ، هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك، واختاره ابن جرير، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ أي: يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي: تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً. وقد ثبت في الصحيحين، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند استه، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان». وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي: في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي: من خارج منه، أي: لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾.

قال ابن عباس: الرجع: المطر. وعنه: هو السحاب فيه المطر. وعنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾: تمطر ثم تمطر. وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم. وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها، يأتين من ها هنا. ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾: قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات. وكذا قال سعيد بن جُبير، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير واحد. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾: قال ابن عباس: حق. وكذا قال قتادة. وقال آخر: حكم عدل. ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ أي: بل هو حق جد. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن. ثم قال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي: قليلاً. أي: وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٤].

آخر تفسير سورة «الطارق»

ولله الحمد

❁ ❁ ❁

(٨٦) سورة الطارق مكية
وآياتها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب ، إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ اعلم أنه تعالى أكثر فى كتابه ذكر السماء والشمس والقمر لأن أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة ، وأما الطارق فهو كل ما أتاك ليلا سواء كان كوكباً أو غيره فلا يكون الطارق نهاراً ، والدليل عليه قول المسلمين فى دعائهم : نعوذ بالله من طوارق الليل وروى أنه عليه السلام « نهى عن أن يأتى الرجل أهله طروقاً » والعرب تستعمل الطروق فى صفة الخيال لأن تلك الحالة إنما تحصل فى الأكثر فى الليل ، ثم إنه تعالى لما قال (والطارق) كان هذا مما لايستغنى سامعه عن معرفة المراد منه ، فقال (وما أدراك ما الطارق) قال سفيان بن عيينة كل شىء فى القرآن ما أدراك فقد أخبر الرسول به وكل شىء فيه مايدريك لم يخبر به كقوله (وما يدريك لعل الساعة قريب) ثم قال (النجم الثاقب) أى هو طارق عظيم الشأن ، رفيع القدر وهو النجم الذى يهتدى به فى ظلمات البر والبحر ويوقف به على أوقات الأمطار ، وههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إنما وصف النجم بكونه ثاقباً لوجوه (أحدها) أنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درى لأنه يدرؤه أى يدفعه (وثانيها) أنه يطلع من المشرق نافذاً فى الهواء كالشىء الذى يثقب الشىء (وثالثها) أنه الذى يرى به الشيطان فيثقبه أى ينفذ فيه ويحرقه (ورابعها) قال الفراء (النجم الثاقب) هو النجم المرتفع على النجوم ، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً قد ثقب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إنما وصف النجم بكونه طارقاً ، لأنه يبدو بالليل ، وقد عرفت أن ذلك يسمى طارقاً ، أو لأنه يطرق الجنى ، أى يصكه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اختلفوا فى قوله (النجم الثاقب) قال بعضهم : أشير به إلى جماعة النجو

فقيل الطارق ، كما قيل (إن الإنسان لفى خسر) وقال آخرون : أنه نجم بعينه ، ثم قال ابن زيد : إنه الثريا ، وقال الفراء : أنه زحل ، لأنه يثقب بنوره سمك سبع سموات ، وقال آخرون : أنه الشهب التى يرجم بها الشياطين ، لقوله تعالى (فأتبعه شهاب ثاقب) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ روى أن أبا طالب أتى النبى ﷺ ، فأتحفه بخبز ولبن ، فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم ناراً ، ففزع أبو طالب ، وقال أى شىء هذا ؟ فقال هذا نجم رمى به ، وهو آية من آيات الله ، فعجب أبوطالب ، ونزلت السورة .

واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه ، (إن كل نفس لما عليها حافظ) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى قوله (لما) قراءتان (إحداهما) قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع والكسائى ، وهى بتخفيف الميم (والثانية) قراءة عاصم وحمزة والنخعى بتشديد الميم . قال أبو على الفاسى : من خفف كانت (إن) عنده المخففة من الثقيلة ، واللام فى (لما) هى التى تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من إن النافية ، وما صلة كالتى فى قوله (فبما رحمة من الله) (وعما قليل) وتكون (إن) متلقية للقسم ، كما تتلقاه مثقلة . وأما من ثقل فتكون (إن) عنده النافية ، كالتى فى قوله (ما إن مكنا كم) و (لما) فى معنى ألا ، قال وتستعمل (لما) بمعنى ألا فى موضعين (أحدهما) هذا (والآخر) فى باب القسم ، تقول : سألتك بالله لما فعلت ، بمعنى ألا فعلت . وروى عن الأخفش والكسائى وأبى عبيدة أنهم قالوا : لم توجد لما بمعنى ألا فى كلام العرب . قال ابن عون قرأت عند ابن سيرين (لما) بالتشديد ، فأنكره وقال : سبحان الله ، سبحان الله . وزعم العتبى أن (لما) بمعنى ألا ، مع أن الخفيفة التى تكون بمعنى ما موجودة فى لغة هذيل .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ليس فى الآية بيان أن هذا الحافظ من هو ، وليس فيها أيضاً بيان أن الحافظ يحفظ النفس عماذا . أما (الأول) ففيه قولان (الأول) قول بعض المفسرين : أن ذلك الحافظ هو الله تعالى . أما فى التحقيق فلأن كل وجود سوى الله ممكن ، وكل ممكن فإنه لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح وينتهى ذلك إلى الواجب لذاته ، فهو سبحانه القيوم الذى بحفظه وإبقائه تبقى الموجودات ، ثم إنه تعالى بين هذا المعنى فى السموات والأرض على العموم فى قوله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) وبينه فى هذه الآية فى حق الإنسان على الخصوص وحقيقة الكلام ترجع إلى أنه تعالى أقسم أن كل ما سواه ، فإنه ممكن الوجود محدث محتاج مخلوق مربوب هذا إذا حملنا النفس على مطلق الذات ، أما إذا حملناها على النفس المتنفسة وهى النفس الحيوانية أمكن أن يكون المراد من كونه تعالى حافظاً لها كونه تعالى عالماً بأحوالها وموصلا إليها جميع منافعها ودافعاً عنها جميع مضارها .

﴿ والقول الثانى ﴾ أن ذلك الحافظ هم الملائكة كما قال (ويرسل عليكم حفظة) وقال عن

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾

اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال (وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين) وقال (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) .

﴿ وأما البحث الثانى ﴾ وهو أنه ما الذى يحفظه هذا الحافظ ؟ ففيه وجوه (أحدها) أن هؤلاء الحفظة يكتبون عليه أعماله دقيقها وجليلها حتى تخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً (وثانيها) (إن كل نفس لما عليها حافظ) يحفظ عملها ورزقها وأجلها ، فإذا استوفى الإنسان أجله ورزقه قبضه إلى ربه ، وحاصله يرجع إلى وعيد الكفار وتسلية النبى ﷺ كقوله (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً) ثم ينصرفون عن قريب إلى الآخرة فيجازون بما يستحقونه (وثالثها) إن كل نفس لما عليها حافظ ، يحفظها من المعاطب والمهالك فلا يصيبها إلا ما قدر الله عليها (ورابعها) قال الفراء إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها إلى المقابر ، وهذا قول الكلبى .

واعلم أنه تعالى لما أقسم على أن لكل نفس حافظاً يراقبها ويعد عليها أعمالها ، فحينئذ يحق لكل أحد أن يجتهد ويسعى فى تحصيل أهم المهمات ، وقد تطابقت الشرائع والعقول على أن أهم المهمات معرفة المبدأ ومعرفة المعاد ، واتفقوا على أن معرفة المبدأ مقدمة على معرفة المعاد ، فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ .

فقال ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الدفق صب الماء ، يقال دفقت الماء ، أى صببته وهو مدفوق ، أى مصبوب ، ومندفق أى منصب ، ولما كان هذا الماء مدفوقاً اختلفوا فى أنه لم وصف بأنه دافق على وجوه (الأول) قال الزجاج : معناه ذو اندفاق ، كما يقال : دراع وفارس ونابل ولابن وتامر ، أى درع وفرس ونبل ولبن وتمر ، وذكر الزجاج أن هذا مذهب سيبويه (الثانى) أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل . قال الفراء : وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، يجعلون المفعول فاعلا إذا كان فى مذهب النعت ، كقوله سر كاتم ، وهم ناصب ، وليل نائم ، وكقوله تعالى (فى عيشة راضية) أى مرضية (الثالث) ذكر الخليل فى الكتاب المنسوب إليه دفق الماء دفقاً ودفوقاً إذا انصب بمرة ، واندفق الكوز إذا انصب بمرة ، ويقال فى الطيرة عند انصباب الكوز ونحوه دافق خير ، وفى كتاب قطرب : دفق الماء يدفق إذا انصب (الرابع) صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرىء الصلب بفتحتين ، والصلب بضمتين ، وفيه أربع لغات : صلب وصلب وصلب وصالب :

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ترائب المرأة عظام صدرها حيث تكون القلادة ، وكل عظم من ذلك تريبة ، وهذا قول جميع أهل اللغة . قال امرؤ القيس :

ترائبها مصقولة كالسجنجل

﴿ المسألة الرابعة ﴾ فى هذه الآية قولان (أحدهما) أن الولد مخلوق من الماء الذى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة . وقال آخرون . إنه مخلوق من الماء الذى يخرج من صلب الرجل وترائبه ، واحتج صاحب القول الثانى على مذهبه بوجهين (الأول) أن ماء الرجل خارج من الصلب فقط ، وماء المرأة خارج من الترائب فقط ، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب ، وذلك على خلاف الآية (الثانى) أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق (من ماء دافق) والذى يوصف بذلك هو ماء الرجل ، ثم عطف عليه بأن وصفه بأنه يخرج ، يعنى هذا الدافق من بين الصلب والترائب ، وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط (أجاب) القائلون بالقول الأول عن الحجة الأولى : أنه يجوز أن يقال للشيئين المتباينين أنه يخرج من بين هذين خير كثير ، ولأن الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشىء الواحد ، فحسن هذا اللفظ هناك ، وأجابوا عن الحجة الثانية : بان هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكل ، فلما كان أحد قسمى المنى دافقاً أطلق هذا الاسم على المجموع ، ثم قالوا : والذى يدل على أن الولد مخلوق من مجموع الماءين أن منى الرجل وحده صغير فلا يكفى ، ولأنه روى أنه عليه السلام قال « إذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكراً ويعود شبه إليه وإلى أقاربه ، وإذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشبه » وذلك يقتضى صحة القول الأول .

واعلم أن الملحدين طعنوا فى هذه الآية ، فقالوا إن كان المراد من قوله (يخرج من بين الصلب والترائب) أن المنى إنما ينفصل من تلك المواضع فليس الأمر كذلك ، لأنه إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع ، وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته ، فيصير مستعداً لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء ، ولذلك فإن المفرط فى الجماع يستولى الضعف على جميع أعضائه ، وإن كان المراد أن معظم أجزاء المنى يتولد هناك فهو ضعيف ، بل معظم أجزائه إنما يتربى فى الدماغ ، والدليل عليه أن صورته يشبه الدماغ ، ولأن المكثر منه يظهر الضعف أولا فى عينيه ، وإن كان المراد أن مستقر المنى هناك فهو ضعيف ، لأن مستقر المنى هو أوعية المنى ، وهى عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين ، وإن كان المراد أن مخرج المنى هناك فهو ضعيف ، لأن الحس يدل على أنه ليس كذلك (الجواب) لا شك أن أعظم الأعضاء معونة فى توليد المعنى هو الدماغ ، والدماغ خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب ، وله شعب كثيرة نازلة

إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

إلى مقدم البدن وهو التربية ، فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر ، على أن كلامكم في كيفية تولد المنى ، وكيفية تولد الأعضاء من المنى محض الوهم والظن الضعيف ، وكلام الله تعالى أولى بالقبول .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قد بينا في مواضع من هذا الكتاب أن دلالة تولد الإنسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل ، لوجوه (أحدها) أن التركيبات العجيبة في بدن الإنسان أكثر ، فيكون تولده عن المادة البسيطة أدل على القادر المختار (وثانيها) أن اطلاع الانسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره ، فلا جرم كانت هذه الدلالة أتم (وثالثها) أن مشاهدة الإنسان لهذه الأحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة ، فكان الاستدلال به على الصانع المختار أقوى (ورابعها) وهو أن الاستدلال بهذا الباب ، كما أنه يدل قطعاً على وجود الصانع المختار الحكيم ، فكذلك يدل قطعاً على صحة البعث والحشر والنشر ، وذلك لأن حدوث الإنسان إنما كان بسبب اجتماع أجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين ، بل في جميع العالم ، فلما قدر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خلق منها إنساناً سوياً ، وجب أن يقال إنه بعد موته وتفرق أجزائه لا بد وأن يقدر الصانع على جمع تلك الأجزاء وجعلها خلقاً سوياً ، كما كان أولا ولهذا السر لما بين تعالى دلالته على المبدأ ، فرع عليه أيضاً دلالته على صحة المعاد ،

فقال ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الضمير في أنه للخالق مع أنه لم يتقدم ذكره ، والسبب فيه وجهان (الأول) دلالة خلق عليه ، والمعنى أن ذلك الذي خلق قادر على رجعه (الثاني) أنه وإن لم يتقدم ذكره لفظاً ، ولكن تقدم ذكر ما يدل عليه سبحانه ، وقد تقرر في بداءة العقول أن القادر على هذه التصرفات ، هو الله سبحانه وتعالى ، فلما كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الرجع مصدر رجعت الشيء إذا رددته ، والكناية في قوله على رجعه إلى أي شيء ترجع ؟ فيه وجهان (أولهما) وهو الأقرب أنه راجع إلى الإنسان ، والمعنى أن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء وجب أن يقدر بعد موته على رده حياً ، وهو كقوله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وقوله (وهو أهون عليه) (وثانيهما) أن الضمير غير عائد إلى الإنسان ، ثم قال مجاهد قادر على أن يرد الماء في الإحليل ، وقال عكرمة والضحاك على أن يرد الماء في الصلب . وروى أيضاً عن الضحاك أنه قادر على رد الإنسان ماء كما كان قبل ، وقال مقاتل بن حيان ، إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا

يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

إلى النطفة ، واعلم أن القول الأول أصح ، ويشهد له قوله (يوم تبلى السرائر) أى أنه قادر على بعثه يوم القيامة ، ثم إنه سبحانه لما أقام الدليل على صحة القول بالبعث والقيامة ، وصف حاله فى ذلك اليوم فقال ﴿ يوم تبلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ (يوم) منصوب برجعه ومن جعل الضمير فى رجعه للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بقوله (فما له من قوة) أى ماله من قوة ذلك اليوم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (تبلى) أى تختبر ، والسرائر ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات ، وما أخفى من الأعمال ، وفى كيفية الابتلاء والاختبار ههنا أقوال :

﴿ الأول ﴾ ما ذكره القفال معنى الاختبار ههنا أن أعمال الانسان يوم القيامة تعرض عليه وينظر أيضاً فى الصحيفة التى كتبت الملائكة فيها تفاصيل أعمالهم ليعلم أن المذكور هل هو مطابق للمكتوب ، ولما كانت المحاسبة يوم القيامة واقعة على هذا الوجه جاز أن يسمى هذا المعنى ابتلاء ، وهذه التسمية غير بعيدة لعباده لأنها ابتلاء وامتحان ، وإن كان عالماً بتفاصيل ماعملوه وما لم يعملوه .

﴿ والوجه الثانى ﴾ أن الأفعال إنما يستحق عليها الثواب والعقاب لوجوهها ، فرب فعل يكون ظاهره حسناً وباطنه قبيحاً ، وربما كان بالعكس . فاختبارها ما يعتبر بين تلك الوجوه المتعارضة من المعارضة والترجيح ، حتى يظهر أن الوجه الراجح ما هو ، والمرجوح ماهو .

﴿ الثالث ﴾ قال أبو مسلم بلوت يقع على إظهار الشىء ويقع على امتحانه كقوله (ونبلو أخباركم) وقوله (ولنبلونكم) ثم قال المفسرون (السرائر) التى تكون بين الله وبين العبد تختبر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من سرها ومؤديها من مضيعها ، وهذا معنى قول ابن عمر رضى الله عنهما : يبدى الله يوم القيامة كل سر منها ، فيكون زيناً فى الوجوه وشيناً فى الوجوه ، يعنى من أداها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ دلت الآية على أنه لا قوة للعبد ذلك اليوم ، لأن قوة الانسان إما أن تكون له لذاته أو مستفادة من غيره ، فالأول منفى بقوله تعالى (فما له من قوة) والثانى منفى بقوله (ولا ناصر) والمعنى ماله من قوة يدفع بها عن نفسه ماحل من العذاب (ولا ناصر) ينصره فى دفعه ولا شك أنه زجر وتحذير ، ومعنى دخول من فى قوله (من قوة) على وجه النفى لقليل ذلك وكثيره ، كأنه قيل ماله من شىء من القوة ولا أحد من الأنصار .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ يمكن أن يتمسك بهذه الآية فى نفى الشفاعة ، كقوله تعالى (واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً) إلى قوله (ولا هم ينصرون) ، (الجواب) ما تقدم ،

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيداً ، وأكيد كيداً ، فهل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من دليل التوحيد ، والمعاد أقسم قسما آخر . أما قوله (والسماء ذات الرجع) فنقول : قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويتكرر . واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح فى أن الرجع ليس اسماً موضوعاً للمطر بل سمى رجعاً على سبيل المجاز ، ولحسن هذا المجاز وجوه (أحدها) قال القفال كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ووصل الحروف به ، فكذا المطر لكونه عائداً مرة بعد أخرى سمى رجعاً (وثانيها) أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض (وثالثها) أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعاً ليرجع (ورابعها) أن المطر يرجع فى كل عام ، إذا عرفت هذا فنقول للمفسرين أقوال (أحدها) قال ابن عباس (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر ترجع لمطر بعد مطر (وثانيها) رجع السماء إعطاء الخير الذى يكون من جهتها حالا بعدحال على مرور الأزمان ترجعه رجعاً ، أى تعطيه مرة بعد مرة (وثالثها) قال ابن زيد هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما ، والقول هو الأول ، أما قوله تعالى (والأرض ذات الصدع) فاعلم أن الصدع هو الشق ومنه قوله تعالى (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون وللمفسرين أقوال قال ابن عباس تنشق عن النبات والأشجار ، وقال مجاهد : هو الجبلان بينهما شق وطريق نافذ . كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجاً سبلا) وقال الليث : الصدع نبات الأرض ، لأنه يصدع الأرض فتنصدع به ، وعلى هذا سمى النبات صدعاً لأنه صادع للأرض ، واعلم أنه سبحانه كما جعل ، كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ، ذكر فى هذا القسم كيفية خلقة النبات ، فالسماء ذات الرجع كالأب ، والأرض ذات الصدع كالأم وكلاهما من النعم العظام لأن نعم الدنيا موقوفة على ماينزل من السماء من المطر متكرراً ، وعلى ما ينبت من الأرض كذلك ، ثم إنه تعالى أردف هذا القسم بالمقسم عليه فقال (إنه لقول فصل) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى هذا الضمير قولان :

﴿ الأول ﴾ ما قال القفال وهو أن المعنى أن ما أخبرتكم به من قدرتى على إحيائكم فى اليوم

الذى تبلى فيه سرائركم قول فصل وحق .

﴿ والثانى ﴾ أنه عائد إلى القرآن أى القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان ، والأول أولى لأن عود الضمير إلى المذكور السالف أولى .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (قول فصل) أى حكم ينفصل به الحق عن الباطل ، ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم ، ويقال هذا قول فصل أى قاطع المراء والنزاع ، وقال بعض المفسرين معناه أنه جد حق لقوله (وما هو بالهزل) أى باللعب . والمعنى أن القرآن أنزل بالجد ، ولم ينزل باللعب ، ثم قال (وما هو بالهزل) والمعنى أن البيان الفصل قد يذكر على سبيل الجد والاهتمام بشأنه وقد يكون على غير سبيل الجد وهذا الموضع من ذلك . ثم قال (إنهم يكيدون كيداً) وذلك الكيد على وجوه . منها بالقاء الشبهات كقولهم (إن هى إلا حياتنا الدنيا ، من يحيى العظام وهى رميم ، أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) ومنها بالطعن فيه بكونه ساحراً وشاعراً ومجنوناً ، ومنها بقصد قتله على ماقاله (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك) ثم قال (وأكيد كيداً) .

واعلم أن الكيد فى حق الله تعالى محمول على وجوه : (أحدها) دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه الصلاة والسلام ويقابل ذلك الكيد بنصرته وإعلاء دينه تسمية لأحد المتقابلين باسم كقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، يخادعون الله وهو خادعهم) (وثانيها) أن كيده تعالى بهم هو امهاله إياهم على كفرهم حتى يأخذهم على غرة . ثم قال (فمهل الكافرين) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل ، ثم إنه تعالى لما أمره بامهالهم بين أن ذلك الإمهال المأمور به قليل ، فقال (أمهلهم رويداً) فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين من الرسول عليه الصلاة والسلام والتصبر وههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال أبو عبيدة : إن تكبير رويد رود . وأنشد :

يمشى ولا تكلم البطحاء مشيته كأنه ثمل يمشى على ورد

أى على مهلة ورفق وتؤدة ، وذكر أبو على فى باب أسماء الأفعال رويداً زيداً يريد أرود زيداً ، ومعناه أمهله وارفق به ، قال النحويون رويد فى كلام العرب على ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون اسما للأمر كقولك رويد زيداً تريد أرود زيداً أى خله ودعه وارفق به ولا تنصرف رويد فى هذا الوجه لأنها غير متمكنة (والثانى) أن يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف إلى ما بعده كما تضاف المصادر تقول رويد زيد ، كما تقول ضرب زيد قال تعالى (فضرب الرقاب) ، (والثالث) أن يكون نعتاً منصوباً كقولك ساروا سيراً رويداً ، ويقولون أيضاً ساروا رويداً ، يحذفون المنعوت

ويقيمون رويداً مقامه كما يفعلون بسائر النعوت المتمكنة ، ومن ذلك قول العرب ضعه رويداً أى وضعاً رويداً ، وتقول للرجل يعالج الشيء الشيء رويداً ، أى علاجا رويداً ، ويجوز فى هذا الوجه أمران (أحدهما) أن يكون رويداً حالا (والثانى) أن يكون نعتاً فإن أظهرت المنعوت لم يجز أن يكون للحال ، والذى فى الآية هو ماذكرنا فى الوجه الثالث ، لأنه يجوز أن يكون نعتاً للمصدر كأنه قيل إمهالا رويداً ، ويجوز أن يكون للحال أى أمهلهم غير مستعجل .

﴿ المسألة الثانية ﴾ منهم من قال (أمهلهم رويداً) إلى يوم القيامة وإنما صغر ذلك من حيث علم أن كل ما هو آت قريب ، ومنهم من قال : أمهلهم رويداً إلى يوم بدر والأول أولى ، لأن الذى جرى يوم بدر وفى سائر الغزوات لا يعم الكل ، وإذا حمل على أمر الآخرة عم الكل ، ولا يمتنع مع ذلك أن يدخل فى جملته أمر الدنيا ، مما نالهم يوم بدر وغيره . وكل ذلك زجر وتحذير للقوم ، وكما أنه تحذير لهم فهو ترغيب فى خلاف طريقهم فى الطاعات ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



٨٦ - سورة الطارق
(مكية وهي سبع عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) ٨٦ الطارق

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) ٨٦ الطارق

النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) ٨٦ الطارق

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) ٨٦ الطارق

﴿ سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسماء والطارق) الطارق فى الأصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطروقاً إذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وإنما سمى قاصدالليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائناً ماكان ثم أشبع فى التوسع حتى أطلق على الصور الخالية البادية بالليل قال [طرق الخيال ولا كليلة مدلج * سدكا بأرجلنا ولم يتبرج] والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى
٢ يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى (وما أدراك ما الطارق) تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها إدراك الخلق فلابد من تلقيها من الخلاق العليم فما الأولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين فى نظائره أى وأى شىء أعلمك ما الطارق وقوله تعالى
٣ (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ماهو فقيل النجم المضىء فى الغاية كأنه يثقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به إما الجنس فإن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لامحالة وإما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى إيراده عند الإقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الإشارة إلى أن ذلك الوصف غير كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه وإجلال محله
٤ مالا يخفى وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جىء به لما

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ٨٦ الطارق

خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ٨٦ الطارق

يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ٨٦ الطارق

إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ٨٦ الطارق

يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ٨٦ الطارق

ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا أى ماكل نفس إلا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيباً وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ماتكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراماً الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرىء لما مخففه على أن إن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام
٥ هى الفارقة وما مزيدة أى إن الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم
خلق) للتنبيه على أن مابين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل مايصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الإنسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة
٦ والجزاء ماينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه مايرديه وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) استئناف
وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان
٧ بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبىء عنه قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب)
أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا إن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الأعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويورث الإفراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرىء الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى صالب
٨ (إنه) الضمير للخالق تعالى فإن قوله خلق يدل عليه أى إن ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر (على
٩ رجعه) أى على إعادته بعد موته (لقادر) لبين القدرة (يوم تبلى السرائر) أى يتعرف ويتصفح ما أسر
فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو

فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ٨٦ الطارق

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ٨٦ الطارق

وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ٨٦ الطارق

إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ٨٦ الطارق

وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ٨٦ الطارق

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ٨٦ الطارق

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ٨٦ الطارق

فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ٨٦ الطارق

١٠،١١ ظرف لرجعه (فما له) أى للإنسان (من قوة) فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ينتصر به (والسماء
ذات الرجع) أى المطر سمى رجعاً لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض
ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوبا أو لأن الله تعالى يرجعه
١٢ (والأرض ذات الصدع) هو ماتتصدع عنه الأرض من النبات أو مصدر من المبنى للمفعول وهو
تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فإن وصف السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقية القرآن
الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما فى أنفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير
بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الأرض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع
١٣ من التنزيل لافى تشققها بالعيون (إنه) أى القرآن الذى من جملته ماتلى من الآيات الناطقة بمبدأ
* حال الإنسان ومعاده (لقول فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل
١٤ (وما هو بالهزل) ليس فى شىء منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به
١٥ الغواة وتخضع له رقاب العتاة (إنهم) أى أهل مكة (يكيدون) فى إبطال أمره وإطفاء نوره (كيداً)
١٦ حسبما تفى به قدرتهم (وأكيد كيداً) أى أقابلهم بكيد متين لايمكن رده حيث أستدرجهم من حيث
١٧ لايعلمون (فمهل الكافرين) أى لاتشتغل بالانتقام منهم ولاتدع عليهم بالهلاك أو لاتستعجل به والفاء
لترتيب مابعدها على ماقبلها فإن الإخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب إمهالهم وترك التصدى
* لمكايدتهم قطعاً وقوله تعالى (أمهلهم) بدل من مهل وقوله تعالى (رويداً) إما مصدر مؤكد لمعنى العامل
أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم إمهالا رويداً أى قريباً كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلا

سورة الطارق

مكية بلاخلاف وهي سبع عشرة آية على المشهور وفي التيسير ست عشرة ولماذكر سبحانه فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه تعالى شأنه هنا على حقارة الانسان ثم استطرد جل وعلا منه الى وصف القرآن ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بامهال أولئك المكذبين فقال عز قائلا

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * والسَّماء ﴾ هي المعروفة على ماعليه الجمهور وقيل المطر هنا وهو أحد استعمالاتها ومنه قوله

اذا نزل السماء بارض قوم ✡ رعيناه وان كانوا غضابا

ولا يخفى حاله ﴿ والطَّارِقِ ﴾ وهو في الأصل اسم فاعل من الطرق بمعنى الضرب بوقع وشدة يسمع لها صوت ومنه المطرقة والطريق لان السابلة تطرقها ثم صار في عرف اللغة اسما لسالك الطريق لتصور أنه يطرقها بقدمه واشتهر فيه حتى صار حقيقة ثم اختص بالآتي ليلا لانه في الاكثر يجد الابواب مغلقة فيطرقها ثم اتسع في كل مايظهر بالليل كائنا ما كان حتى الصور الخيالية البادية فيه والعرب تصفها بالطروق كما في قوله

طرق الخيال ولا كليلة مدلج ✡ سدكا (١) بارحلنا ولم يتعرج

والمراد به ههنا عند الجمهور الكوكب البادي بالليل إما على انه اسم جنس أو كوكب معهود كما ستعلمه ان شاء الله تعالى وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لاينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فا الاولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية

---

(١) سدكا بفتح فكسر أي مواما اه منه

خبر والطارق مبتدأ على مااختاره بعض المحققين أى أى شىء أعلمك ماالطارق وقوله سبحانه ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبل كانه قيل ماهو فقيل هو النجم الخ والثاقب فى الاصل الخارق ثم صار بمعنى المضىء لتصور أنه يثقب الظلام وقد يخص بالنجوم والشهب لذلك وتصور أنها ينفذ ضوءها فى الافلاك ونحوها وقال الفراء الثاقب المرتفع يقال ثقب الطائر أى ارتفع وعلا والمراد بالنجم الثاقب الجنس عند الحسن فان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لامحالة وكذا كل كوكب مرتفع ولايضر التفاوت فى ذلك وذهب غير واحد الى أن المراد به معهود فعن ابن عباس أنه الجدى وأخرج ابن جرير عن ابن زيد أنه الثريا وهو الذى تطلق العرب عليه اسم النجم وروى عنه أيضا انه زحل وهو أبعد السيارات وأرفعها ومايثقبه ضوؤه من الافلاك أكثر فيما يزعم المنجمون المتقدمون وانما قلنا أبعد السيارات لان الجدى والثريا عندهم أبعد منه بكثير وكذا عند المحدثين وعن الفراء انه القمر لانه آية الليل وأشد الكواكب ضوأ فيه وهو زمان سلطانه وأنت تعلم ان اطلاق النجم عليه ولو موصوفا غير شائع وقيل هو النجم الذى يقال له كوكب الصبح وعن على كرم الله تعالى وجهه أنه نجم فى السماء السابعة لايسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد ولا يخفى أن المعروف أن الذى يسكن السماء السابعة أعنى الفلك السابع وحده هو زحل فيكون ذلك قولا بان النجم الثاقب هو لكن لا يعرف له نزول ولا صعود بالمعنى المتبادر وأيضا لا يعقل له نزول الى حيث تكون النجوم أعنى الثوابت لان المعروف عندهم أنها فى الفلك الثامن ويجوز عقلا أن يكون بعضها فى أفلاك فوق ذلك بل نص المحدثون لما قام عندهم على تفاوتها فى الارتفاع ولم يشكوا فى أن كثيرا منها ابعد من زحل بمداعظيما واذا اعتبرت الظواهر وقلنا بانها فى السماء الدنيا وان تفاوتت فى الارتفاع فذلك أيضا مما يأباه أن النجوم قد تاخذ أمكنتها من السماء وليس معها زحل وبالجملة ما يعكر على هذا الخبر كثير وكونه كرم الله تعالى وجهه أراد كوكبا آخر هذا شأنه لايخفى حاله والذى يقتضيه الانصاف وترك التعصب أن الخبر مكذوب على الامير رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه وجوز على ارادة الجنس أن يراد به جنس الشهب التى يرجم بها وليس بذاك وما روى أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ماء ثم نورا ففزع أبو طالب فقال أى شىء هذا فقال عليه الصلاة والسلام هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب ابو طالب فنزلت لايقتضى ذلك على مالا يخفى وزعم ابن عطية أن المراد بالطارق جميع ما يطرق من الامور والمخلوقات فيعم النجم الثاقب وغيره ويكون معنى وما أدراك ما الطارق حق الطارق بأن تكون أل فى ما الطارق مثلها فى أنت الرجل وما أدرى ماالطارق على هذا الرجل حتى ركب هذا الطريق الوعر فى التفسير وفى ايراد ذلك عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وان ذلك مما لايبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله مالايخفى على ذى نظر ثاقب ولارادة ذلك لم يقل ابتداء والنجم الثاقب مع أنه أخصر وأظهر ولله عز وجل أن يفخم شأن ماشاء من خلقه لما شاء ولا دلالة فيه ههنا على شىء مما يزعمه المنجمون فى أمر النجوم زحل وغيره من التاثير فى سعادة أوشقاوة أونحوهما وجواب القسم قوله تعالى ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ومابينهما اعتراض جىء به لماذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وقيل جوابه قوله سبحانه انه على رجعه لقادر وما فى البين اعتراض وهو كما ترى وان نافية ولما بمعنى الا ومجيئها كذلك

لغة مشهورة كما نقل أبو حيان عن الاخفش في هذيل وغيرهم يقولون أقسمت عليك أوسألتك لما فعلت كذا يريدون الافعلت وبهذا رد على الجوهرى المنكر لذلك وقال الرضى لايجئ الابعدنفى ظاهر أومقدر ولاتكون الا فيالمفرغ أى بخلاف الاوكل لتأكيد العموم لتحقق أصله من وقوع النكرة فيسياق النفي وهو مبتدأ والخبر على المشهور حافظ وعليها متعلق به وعلى ماسمعت عن الرضى محذوف أى ما كل نفس كائنة في حال من الاحوال الا في حال أن يكون عليها حافظ أى مهيمن ورقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

وقيل هو من يحفظ عملها من الملائكة عليهم السلام ويحصى عليها ما تكسب من خير أو شر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الآية وروى ذلك عن ابن سيرين وقتادة وغيرهما وخصصوا النفس بالمكلفة وقيل هو من وكل على حفظها والذب عنها من الملائكة كما في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وعن أبى امامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقيل هو العقل يرشد المرء الى مصالحه ويكفه عن مضاره وقرأ الاكثر لما بالتخفيف فعند الكوفيين إن نافية كما سبق واللام بمعنى الاوما زائدة وصرحوا هنا بان كل وحافظ مبتدأ وخبر فلاتغفل وعند البصريين إن مخففة من الثقيلة وكل مبتدأ ومازائدة واللام هى الداخلة للفرق بين ان النافية وان المخففة وحافظ خبر المبتدأ وعليها متعلق به وقدر لان ضمير الشأن وتعقب بانه لاحاجة اليه لانه في غير المفتوحة ضعيف لعدم العمل مع أنه مخل بادخال اللام الفارقة لانه اذا كان الخبر جملة فالاولى ادخال اللام على الجزء الاول كما صرح به في التسهيل وادخالها على الجزء الثانى كما صرح به بعض الافاضل في حواشيه عليه ولعل من قال أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ لم يرد تقدير الضمير وانما أراد بيان حاصل المعنى وحكى هرون انه قرىء إن بالتشديد وكل بالنصب ولما بالتخفيف فاللام هى الداخلة فى خبر ان وما زائدة وعلى جميع القراآت أمر الجوابية ظاهر لوجود ما يتلقى به القسم وتلقيه بالمشددة مشهور وبالمخففة تالله ان كدت لتردين وبالنافية ولئن زالتا ان أمسكهما وقوله تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ متفرع على ما قبله وليست الفاء بفصيحة خلافا للطيبي اذ لايحتاج الى حذف في استقامة الكلام أما على تقدير أن يكون الحافظ هو الله عز وجل أو الملك الذى وكله تعالى شانه للحفظ على الوجه الذى سمعت فلانه لما أثبت سبحانه أن عليه رقيبا منه تعالى حثه على النظر المعرف لذلك مع أوصافه كانه قيل فليعرف المهيمن عليه بنصبه الرقيب أو بنفسه وليعلم رجوعه اليه تعالى وليفعل ما يسر به حال الرجوع وعبر عن الاول بقوله تعالى فلينظر ليبين طريق المعرفة فهو بسط فيه ايجاز وادمج فيه الاخيران واما على تقدير أن يكون المراد به العقل فلانه لما اثبت سبحانه أن له عقلا يرشد الى المصالح ويكف عن المضار حثه على استعماله فيما ينفعه وعدم تعطيله والفائه كانه قيل فلينظر بعقله وليتفكر به فى مبدا خلقه حتى يتضح له قدرة واهبه وانه اذا قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو سبحانه على اعادته أقدر وأقدر فيعمل بمايسر به حين الاعادة وقد يقرر التفريع على جميع الاوجه بنحو واحد فتأمل ومم خلق استفهام ومن متعلقة بخلق والجملة في موضع نصب بينظر وهي معلقة بالاستفهام وقوله تعالى ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء الخ وظاهر كلام بعض الاجلة أنه جواب الاستفهام

المذكور مع تعلق الجار بينظر وفيه مساحة وكأن المراد انه على صورة الجواب وجعله جوابا له حقيقة على أنه مقطوع عن ينظر ليس بشيء عند من له نظر والدفق صب فيه دفع وسيلان بسرعة وأريد بالماء الدافق المنى ودافق قيل بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول وقد قرأ بذلك زيد بن على رضى الله تعالى عنهما وقال الخليـل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر أى ذى دفق وهو صادق على الفاعل والمفعول وقيل هو اسم فاعل واسناده الى الماء مجاز وأسند اليه ما لصاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية وتخييلية كما ذهب اليه السكاكى أو مصرحة بجعله دافقاً لانه لتتابع قطراته كأنه يدفق أى يدفع بعضه بعضا وقد فسر ابن عطية الدفق بالدفع فقال الدفق دفع الماء بعضه ببعض يقال تدفق الوادى والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح أن يكون المـاء دافقا لان بعضه يدفع بعضا فنه دافق ومنه مدفوق وتعقبه أبو حيان بان الدفق بمعنى الدفع غير محفوظ في اللغة بل المحفوظ أنه الصب ونقل عن الليث ان دفق بمعنى انصب بمرة فدافق بمعنى منصب فلا حاجة الى التأويل وتعقب بانه ممـا تفرد به الليث كما في القاموس وغيره وقيـل من ماء مع أن الانسان لا يخلق الامن ماءين ماء الرجل وماء المرأة ولذا كان خلق عيسى عليه السلام خارقا للعادة لان المراد به الممتزج من المـاءين في الرحم وبالامتزاج صارا ماء واحدا ووصفه بالدفق قيـل باعتبار أحد جزئيه وهو منى الرجل وقيـل باعتبار كليهما ومنى المرأة دافق أيضا الى الرحم ويشير الى ارادة الممتزج على ماقيل قوله تعـالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ ﴾ أى من بين أجزاء صلب كل رجل أى ظهره ﴿ وَالتَّرَائِبِ ﴾ أى ومن بين ترائب كل امرأة أى عظام صدرها جمع تريبة وفسرت أيضا بموضع القلادة من الصدر وروى عن ابن عبـاس وهو لكل امرأة واحد الا انه يجمع كما في قول امرىء القيس

مهفهفة بيضاء (١) غير مفاضة ❊ ترائبها مصقولة كالسجنجل

باعتبار ماحوله على مافي البحر وجاء في المفرد تريب كما في قول المثقب العبدى

ومن ذهب يبين على تريب ❊ كلون العاج ليس بذى غضون

وحمل الآية على ماذكر مروى عن سفيان وقتادة الا أنهما قالا أى يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة وظاهره كالآية ان أحد الطرفين للبينيـة الصلب والآخر الترائب وهو غير ما قلناه وعليـه قيل هو كقولك يخرج من بين زيد وعمرو خير كثير على معنى أنهما سببان فيه وقيل ان ذلك باعتبار أن الرجل والمرأة يصيران كالشىء الواحد فكان الصلب والترائب لشخص واحد فلا تغفل ثم ان ما تقدم مبنى اما على أن الترائب مخصوصة بالمرأة كما هو ظاهر كلام غير واحد واما على حمل تعريفها على العهد وقال الحسن وروى عن قتادة أيضا أن المنى يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما ولم يفسر الترائب فقيل عظام الصدر وقيـل ما بين الثديين وقيل ما بين المنكبين والصدر وقيل التراقى وقيل أربع أضلاع من يمنة الصـدر وأربع من يسرته وعن ابن جبير الاضلاع التى هي أسفل الصلب وحكى مكى عن ابن عباس انها أطراف المرء رجلاه ويداه وعيناه والاشهر انها عظام الصدر وموضع القلادة منه وطعن في ذلك على ماقال الامام بعض الملاحدة خذلهم الله تعالى بأن المنى انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل من جميع أجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية مستعد الان يتولد منه مثل تلك الاعضاء وان كان المراد أن معظم اجزاء المنى تتولد في ذينك الموضعين فهو ضعيف لان معظمه انما يتولد فى الدماغ الا ترى أنه في صورته يشبه الدماغ والمكثر منـه يظهر الضعف أولا فى دماغه وعينيه وان كان المراد ان مستقره هناك

(١) أى غير ضخمة اهـ منه

فهو ضعيف أيضا لان مستقره عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين وتسمى أوعية المنى وان كان المراد أن مخرجه هناك فهو أيضا كذلك لان الحس يدل على خلافه وأجاب رحمه الله تعالى بانه لاشك ان أعظم الاعضاء معونة في توليد المنى الدماغ وخليفته النخاع في الصلب وشعب نازلة الى مقدم البدن وهي الترائب فلذا خصا بالذكر على ان كلامهم فى أمر المنى وتولده محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى المجيد لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو المقبول والمعول عليه اهـ وفي الكشف أقول النخاع بين الصلب والترائب ولايحتاج الى تخصيص الترائب بالنساء فقد يمنع الشعب النازلة على ان تلك الشعب ان كانت فهي اعصاب (١) لاذات تجاويف والوجه والله تعالى أعلم أن النخاع و القوى الدماغية والقلبية والكبدية كلها تتعاون في ابراز ذلك الفضل على ماهو عليه قابلا لان يصير مبدأ الشخص على مابين في موضعه وقوله سبحانه من بين الصلب والترائب عبارة مختصرة جامعة لتأثير الاعضاء الثلاثة فالترائب يشمل القلب والكبد وشمولها للقلب أظهر والصلب النخاع وبتوسطه الدماغ ولعله لايحتاج الى التنبيه على مكان الكبد لظهور ذلك لانه دم نضيج وانما احتيج الى ماخفي وهو أمر الدماغ والقلب في تكون ذلك الماء فنبه على مكانهما وقيل ابتداء الخروج منه كما أن انتهاءه بالاحليل انتهى وقيل لوجعل مابين الصلب والترائب كناية عن البدن كله لم يبعد وكان تخصيصهما بالذكر لما أنهما كالوعاء للقلب الذى هو المضغة العظمى فيه وأمر هذه الكناية على ما حكى مكي عن ابن عباس فى الترائب أظهر وزعم بعضهم جواز كون الصلب والترائب للرجل أى يخرج من بين صلب كل رجل وترائبه فالمراد بالماء الدافق ماء الرجل فقط وجعل الكلام اماعلى التغليب أوعلى انه لاماء للمرأة أصلا فضلا عن الماء الدافق كما قيل به ولايخفي مافيه والقول بان المرأة لاماء لها تكذبه الشريعة وغيرها وقرأ ابن أبي عبلة وابن مقسم يخرج مبنيا للمفعول وهما وأهل مكة وعيسى الصلب بضم الصاد واللام واليماني بفتحهما وروى على اللغتين قول العجاج

ريا العظام فخمة المخدم ✡ في صلب مثل العنان المؤدم (٢)

وفيه لغة رابعة وهي صالب كما في قول العباس ✡ تنقل من صالب الى رحم ✡ وهي قليلة الاستعمال واستشهد بعض الاجلة بقوله تعالى خلق من ماء دافق على ان الانسان هو الهيكل المخصوص كما ذهب اليه جمهور المتكلمين النافين للنفس الناطقة الانسانية المجردة التى ليست داخل البدن ولا خارجه وقال انه شاهد قوى على ذلك وتأويله بأنه على حذف المضاف أى خلق بدن الانسان لا يسمع ما لم يقم برهان على امتناع ظاهره انتهى وأنت تعلم أن القائلين بالنفس الناطقة المجردة قد أقاموا فيما عندهم براهين على اثباتها نعم ان فيها ابحاثا للنافين وتحقيق ذلك بما لا مزيد عليه في كتاب الروح للعلامة ابن القيم عليه الرحمة **﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾** الضمير الاول للخالق تعالى شأنه وكما فخم أولا بترك الفاعل في قوله تعالى مم خلق خلق اذ لا يذهب الى خالق سواه عز وجل فخم بالاضمار ثانيا والضمير الثانى للانسان أى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر على اعادته بعد موته لبين القدرة وهذا كما في قوله

لئن كان تهدى برد أنيابها العلى ✡ لأفقر منى اننى لفقير

فانه أراد لبين الفقر والالم يصح ايراده في مقابلة لأفقر منى والتأكيد البالغ لفظا لما قام عليه البرهان الواضح معنى ولذا فسر قادر هنا ببين القدرة كما في الكشاف واعتبر فيه أيضا الاختصاص فقال أى على

(١) فيه انه لايضر كونها أعصابا كما لايخفى اهـ منه

(٢) أى المصلح الملين يصف لين صلبها اهـ منه

اعادته خصوصا وكأن ذلك لان الغرض المسوق له الكلام ذلك فكأن ما سواه مطرح بالنسبة اليه وحينئذ يراد ما ذكر جوك الجار من صلة لقادر أو مدلولا على موصوله به على المذهبين وفصل الجملة عما سبق لكونه جواب الاستفهام دونها وقال مجاهد وعكرمة الضمير الثاني للماء أى انه تعالى على رد الماء في الاحليل أو في الصلب لقادر وليس بشيء ومثله كون المعنى على تقدير كونه للانسان أنه عز وجل على رده من الكبر الى الشباب لقادر كما روى عن الضحاك وما ذكرناه أولا مروى عن ابن عباس ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ أي يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال ويميز بين ماطاب منها وماخبث وأصل الابتلاء الاختبار واطلاقه على ماذكر اطلاق على اللازم وحمل السرائر على العموم هو الظاهر وأخرج ابن المنذر عن عطاء ويحيى بن أبى كثير أنها الصوم والصلاة والغسل من الجنابة وأخرج البيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمن الله تعالى خلقه أربعا الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة وهن السرائر التى قال الله تعالى يوم تبلى السرائر وفي البحر ضم التوحيد اليها ولعل المراد بيان عظمها على سبيل المبالغة لاحقيقة الحصر وسمع الحسن من ينشد قول الاحوص

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ✡ سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ماأغفله عما في والسماء والطارق وكأنه حمل البقاء فيه على عدم التعرف أصلا فليفهم ويوم عند جمع من الحذاق ظرف لمحذوف يدل عليه رجعه أى يرجعه يوم الخ وقال الزمخشري وجماعة ظرف لرجعه واعترض بان فيه فصلا بين المصدر ومعموله بأجنبي وأجيب تارة بانه جائز لتوسعهم في الظروف واخرى بان الفاصل هنا غير اجنبي لانه إما مفسر أو عامل على المذهبين وقال عصام الدين انّ الفصل بهذا الاجنبى كلا فصل لان المعمول في نية التقديم عليه وانما أخر لرعاية الفاصلة وفيه ما لا يخفى وقيل ظرف لناصر بعد وتعقبه أبو حيان بأنه فاسد لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وكذلك ما النافية على المشهور المنصور وقيل معمول لاذكر محذوفا وهو كما ترى ويتعين هو أو ما قبله على رأى مجاهد وعكرمة ورأى الضحاك السابقين آنفا وجوز الطبرسي تعلقه بقادر ولم يعلقه جمهور المعربين به لانه يوهم اختصاص قدرته عز وجل بيوم دون يوم كما قال غير واحد وقال ابن عطية فروا من ان يكون العامل لقادر للزوم تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز أن يكون العامل وذلك أنه تعالى قال على رجعه لقادر على الاطلاق أولا وآخرا وفي كل وقت ثم ذكر سبحانه من الاوقات الوقت الاعظم على الكفار لانه وقت الجزاء والوصول الى العذاب ليجتمع الناس على حذره والخوف منه انتهى وهو على ما فيه لا يدفع الايهام ﴿ فَمَا لَهُ ﴾ أى الانسان ﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ في نفسه يمتنع بها ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ينتصر به ﴿ وَالسَّمَاءِ ﴾ وهي المظلة في قول الجمهور ﴿ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ أى المطر في قولهم أيضا كما في قول الخنساء

يوم الوداع ترى دموعا جارية ✡ كالرجع في (١) المدجنة السارية

وأصله مصدر رجع المتعدى واللازم أيضا في قول ومصدره الخاص به الرجوع سموا به المطر كما سموه بالاوب مصدر آب ومنه قوله

رباء شماء لا يأوى لقلتها ✡ الا السحاب والا الاوب والسبل

(١) كذا في خط المؤلف وليحرر الوزن اهـ

يرجع أولان السحاب يحمله من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وبنى هذا غير واحد على الزعم وفيه بحث وعن أو المراد به فيه النحل لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا وقال الحسن لانه يرجع بالرزق كل عام وأرادوا بذلك التفاؤل ابن عباس ومجاهد تفسير السماء بالسحاب والرجع بالمطر وقال ابن زيد السماء هي المعروفة والرجع رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزلة الى منزلة فيها وقيل رجوعها نفسها فانها ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك منه وهذا مبنى على أن السماء والفلك واحد فهي تتحرك ويصير أوجها حضيضا وحضيضها أوجا وقد سمعت فيما تقدم ان ظاهر كلام السلف ان السماء غير الفلك وانها لا تدور ولا تتحرك والذى ذكر رأى الفلاسفة ومن تابعهم وقيل الرجع الملائكة عليهم السلام سموا بذلك لرجوعهم باعمال العباد ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ هو ما تتصدع عنه الارض من النبات وأصله الشق سمى به النبات مجازا أو هو مصدر من المبنى للمفعول فالمراد تشققها بالنبات وروى ذلك عن عطية وابن زيد وقيل تشققها بالعيون وتعقب بان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في أنفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر في مواضع من التنزيل لافي تشققها بالعيون ويعلم منه مافي تفسير الرجع بغير المطر وكذا مافي قول مجاهد الصدع مافي الارض من شقاق وأودية وخنادق وتشقق بحرث وغيره وماروى عنه أيضا الصدع الطرق تصدعها المشاة وقيل ذات الاموات لا نصداعها عنهم للنشور ﴿ إنه ﴾ أى القرآن الذى من جملته هذه الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده وهو أولى من جعل الضمير راجعا لما تقدم أى ما أخبرتكم به من قدرتى على احيائكم لان القرآن يتناول ذلك تناولا أوليا وقوله تعالى ﴿ لقول فصل ﴾ أنسب به والمراد لقول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في ذلك حتى كأنه نفس الفصل وقيل مقابلة الفصل بالهزل بعد يستدعى أن يفسر بالقطع أى قول مقطوع به والاول أحسن ﴿ وما هو بالهزل ﴾ أى ليس في شىء منه شائبة هزل بل كله جد محض فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة وفي حديث أخرجه الترمذى والدارمى وابن الانبارى عن الحرث الاعور عن على كرم الله تعالى وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إنها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ فيه الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن ولا يخلق عن الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن لما سمعته عن أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن هدى به هدى الى صراط مستقيم وفي هذا من الرد على الذين نبذوه وراء ظهورهم مافيه ﴿ إنهم ﴾ أى كفار مكة ﴿ يكيدون ﴾ يعملون المكايد في ابطال أمره واطفاء نوره أو في ابطال أمر الله تعالى واطفاء نور الحق والاول أتم انتظاما وهذا قيل أملأ فائدة ﴿ كيدا ﴾ أى عظيما حسبما تفى به قدرتهم والجملة تحتمل ان تكون استئنافا بيانيا كأنه قيل اذا كان حال القرآن ماذكر فما حال هؤلاء الذين يقولون فيه مايقولون فقيل انهم يكيدون كيدا ﴿ وأكيد كيدا ﴾ أى أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون أو أقابلهم بكيدى في اعلاء أمره واكثار نوره من حيث لا يحتسبون والفصل لهذا وقيل لئلا يتوهم عطفها على جواب القسم مع أنها غير مقسم عليها ﴿ فمهل الكافرين ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم

الهلاك أو تأن وانتظر الانتقام منهم ولا تستعجل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات وعدم اهمالهم مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا ووضع الظاهر موضع الضمير لذمهم بأبى الخبائث وأمها وقيل للاشعار بعلة ما تضمنه الكلام من الوعيد وقوله تعالى ﴿ أَمْهِلْهُمْ ﴾ بدل من مهل على ما صرح به فى الارشاد وقوله سبحانه ﴿رُوَيْدًا﴾ اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا كما أخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس أو قليلا كما روى عن قتادة وأخرج ابن المنذر عن السدى أنه قال أى أمهلهم حتى آمر بالقتال ولعله المراد بالامهال القريب أو القليل واختار بعضهم أن يكون المراد الى يوم القيامة لان ما وقع بعد الامر بالقتال كالذى وقع يوم بدر وفي سائر الغزوات لم يعم الكل وما يكون يوم القيامة يعمهم والتقريب باعتبار أن كل آت قريب وعلى هذا النحو التقليل على أن من مات فقد قامت قيامته والظاهر ما قال السدى وقد عراهم بعد الامر بالقتال ما عراهم وعدم العموم الحقيقى لا يضر وهو فى الاصل على ما قال أبو عبيدة تصغير رود بالضم وأنشد ✡ كأنها ثمل تمشى على رود ✡ أى على مهل وقال أبو حيان وجماعة تصغير ارواد مصدر رواد يرود بالترخيم وهو تصغير تحقير وتقليل وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويدا زيدا أى أمهله وكونه حالا نحو سار القوم رويدا أى متمهلين غير مستعجلين ولم يذكر أحد احتمال كونه اسم فعل هنا وصرح ابن الشيخ بعدم جريانه وعلل ذلك بأن الاوامر كلها بمعنى فكأنه قيل أمهل الكافرين أمهلهم أمهلهم وفائدة التأكيد تحصل بالثانى فيلغو الثالث وفى التعليل نظر فقد يسلك فى التأكيد بالفاظ متحدة لفظا ومعنى نحو ذلك ففى الحديث أيما امرأة أنكحت نفسها بدون ولى فنكاحها باطل باطل باطل ولا فرق بين الجمل والمفردات نعم هو خلاف الظاهر جدا وجوز رحمه الله كونه حالا أى أمهلهم غير مستعجل والظاهر أنه حال مؤكدة كما فى قوله تعالى لا تعثوا فى الارض مفسدين فلا تغفل وهو أيضا بعيد وظاهر كلام أبى حيان وغيره أن الامر الثانى توكيد للاول قالوا والمخالفة بين اللفظين فى البنية لزيادة تسكينه صلى الله تعالى عليه وسلم وتصبيره عليه الصلاة والسلام وانما دلت الزيادة من حيث الاشعار بالتغاير كأن كلا كلام مستقل بالامر بالتأنى فهو أوكد من مجرد التكرار وقرأ ابن عباس مهلهم بفتح الميم وشد الهاء موافقة للفظ الامر الاول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق

مكية، وهي سبع عشرة آية

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾.

[٣] ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿والسماءِ والطارِقِ﴾ قَسَمان: ﴿السماء﴾ قَسَم، و ﴿الطارق﴾ قَسَم. والطارق: النجم. وقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿ومَا أدراكَ ما الطارِقُ. النَّجْمُ الثاقِبُ﴾. واختلف فيه؛ فقيل: هو زُحَل: الكوكب الذي في السماء السابعة؛ ذكره محمد بن الحسن[١] في تفسيره، وذكر له أخباراً، الله أعلم بصحتها. وقال ابن زيد: إنه الثُّريا. وعنه أيضاً أنه زُحَل؛ وقاله الفراء. ابن عباس: هو الجَدْي. وعنه أيضاً وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ والفراء: ﴿النجم الثاقِب﴾: نجم في السماء السابعة، لا يسكنها غيره من النجوم؛ فإذا أخَذَت النجوم أمكنتها من السماء، هبط فكان معها، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زُحَل؛ فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد. وحكى الفراء: ثَقُبَ الطائر: إذا ارتفع وعلا. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ قاعداً مع أبي طالب، فانحط نجم، فامتلأت الأرض نوراً، ففزِع أبو طالب، وقال: أي شيء هذا؟ فقال: «هذا نجم رُميَ به، وهو آية من آيات الله» فعجِب أبو طالب، ونزل: ﴿والسماءِ والطارِقِ﴾. وروي عن ابن عباس أيضاً ﴿والسماءِ والطارِقِ﴾ [قال:[٢] السماء] وما يطْرُق فيها. وعن

(١) لعل المراد به: أبو بكر العطار: محمد بن الحسن بن مقسم.

(٢) زيادة عن الطبري.

ابن عباس وعطاء: ﴿الثاقب﴾: الذي تُرْمَى به الشياطين. قتادة: هو عام في سائر النجوم؛ لأن طلوعها بليلٍ، وكل من أتاك ليلاً فهو طارق. قال:

ومِثلَك حبلى قد طرقت ومرضِعاً فألهيتها عن ذِي تمائم مُغْيلِ[(١)]

وقال:

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تَطَيَّبِ

فالطارق: النجم، اسم جنس، سمي بذلك لأنه يطرق ليلاً، ومنه الحديث: «نهى النبيّ ﷺ أن يطرُق المسافر أهلَه ليلاً، كي تستحِدّ المُغِيبة، وتمتشط الشَعِثة»[(٢)]. والعرب تسمي كل قاصدٍ في الليل طارقاً. يقال: طرق فلان إذا جاء بليل. وقد طرُق يطرق طروقاً. فهو طارق. ولابن الرومِي[(٣)]:

يا راقدَ الليل مسروراً بأوّلِهِ إن الحوادث قد يطرُقن أسحاراً

لا تفرحَنَّ بليل طابَ أوّله فرب آخرِ ليلٍ أجَّجَ النارا

وفي «الصحاح»: والطارق: النجم الذي يقال له كوكب الصبح. ومنه قول هند[(٤)]:

نحنُ بناتِ طارِقِ نمشي على النمارقِ

أي إن أبانا في الشرف كالنجم المضيء. الماورديّ: وأصل الطَّرْق: الدّق، ومنه سميت المِطرقة، فسمي قاصدُ الليلِ طارقاً، لاحتياجه في الوصول إلى الدق. وقال قوم: إنه قد يكون نهاراً. والعرب تقول؛ أتيتك اليوم طَرْقَتين: أي مرتين. ومنه قوله ﷺ:

---

(١) البيت لامرىء القيس. والتمائم: التعاويذ التي تعلق في عنق الصبي. وذو التمائم: هو الصبي. والمغيل: الذي تؤتى أمه وهي ترضعه. ويروى: «محول» بدل «مغيل» وهو الذي أتى عليه الحول.

(٢) الاستحداد: حلق العانة بالحديد. والمغيبة: التي غاب عنها زوجها. والشعثة: التي تلبد شعرها.

(٣) لم نعثر على هذين البيتين في ديوان ابن الرومي. وقد أورد الجاحظ البيت الأول في كتابه «الحيوان ٦/٥٠٨ طبع مطبعة الحلبي» غير منسوب. ولم يعرف أن الجاحظ يستشهد بشعر ابن الرومي. وقد توفى الجاحظ وكانت سن ابن الرومي ٣٤ على أن هذا الشعر ليس من روح ابن الرومي. وقد أورد أيضاً العزالي في «الإحياء ٣/ ١٨٠ طبع الحلبي» البيت الأول ضمن ستة أبيات من وزنه وقافيته.

(٤) هي هند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادي، قالت هذا الرجز يوم أحد تحض على الحرب، والرجز بأكمله في «اللسان»: طرق.

«أعوذ بك من شر طوارِقِ الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». وقال جرير في الطروق:

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حيـن الـزيـارة فـارجِعِـي بسـلامِ

ثم بين فقال: ﴿وما أَدراكَ ما الطارق. النجْمُ الثاقِبُ﴾ والثاقب: المضيء. ومنه ﴿شِهاب ثاقِب﴾[1]. يقال: ثَقَب يَثْقُب ثُقُوباً وثقابة: إذا أضاء. وثُقُوبُه: ضوءه. والعرب تقول: أثقِب نارك؛ أي أضئها. قال:

أذاعَ به في الناسِ حتّى كأنَه بعليـاءَ نـارٌ أُوقـدتْ بثَقُـوبِ

الثَّقوب: ما تشعل به النار من دُقاق العِيدان. وقال مجاهد: الثاقب: المتوهِّج. القشيري: والمعظَم على أن الطارق والثاقب اسم جنس أريد به العُموم[2]، كما ذكرنا عن مجاهد. ﴿وما أدراك ما الطارِق﴾ تفخيماً لشأن هذا المقسَمِ به. وقال سفيان: كل ما في القرآن ﴿وما أدراك﴾؟ فقد أخبره به. وكل شيء قال فيه ﴿وما يدريك﴾: لم يخبره به.

[٤] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾.

قال قتادة: حَفَظة يحفظون عليك رِزقك وعملك وأجلك. وعنه أيضاً قال: قرينه يحفظ عليه عمله: من خير أو شر. وهذا هو جواب القسم. وقيل: الجواب ﴿إنه على رجعِهِ لقادِر﴾ في قول الترمذيّ: محمد بن علي. و ﴿إن﴾: مخففة من الثقيلة، و ﴿ ما ﴾: مؤكدة، أي إن كل نفس لعليها حافظ . وقيل : المعنى إن كل نفس إلا عليها حافظ: يحفظها من الآفات ، حتى يُسلمها إلى القدر . قال الفراء: الحافظ من الله، يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير، وقاله الكلبيّ. وقال أبو أُمامة: قال النبيّ ﷺ : « وُكِّل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يَذُبُّون عنه ما لم يقدر عليه. من ذلك البصر، سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكِل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين». وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة «لَمَّا» بتشديد الميم، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة

(١) آية ١٠ سورة الصافات.

(٢) أي لم يرد به نجم معين، كالثريا أو زحل، كما قال بعض المفسرين.

هذيل. يقول قائلهم: نَشَدتك لمَّا قمت. الباقون بالتخفيف، على أنها زائدة مؤكدة، كما ذكرنا. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿له معقبات مِن بينِ يديهِ ومِن خلفِهِ يحفظونه مِن أمرِ اللَّهِ﴾[١]، على ما تقدم. وقيل: الحافظ هو الله سبحانه؛ فلولا حفظه لها لم تبق. وقيل: الحافظ عليه عقله، يرشده إلى مصالحه، ويكفه عن مضارّه.

قلت: العقل وغيره وسائط، والحافظ في الحقيقة هو الله جل وعز؛ قال الله عز وجل: ﴿فالله خيرٌ حافِظاً﴾[٢]، وقال: ﴿قل من يكلؤكم بِالليلِ والنهارِ مِن الرحمنِ﴾[٣]. وما كان مثله.

[٥] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾.

[٦] ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾.

[٨] ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُر الإنسان﴾ أي ابن آدم ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾؟ وجه الاتصال بما قبله توصية الإنسان بالنظر في أوّل أمره وسنته الأولى، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه؛ فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، ولا يُمْلِي على حافظه إلا ما يسره في عاقبة أمره. و ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾؟ استفهام؛ أي من أي شيء خلق؟ ثم قال: ﴿خُلِقَ﴾ وهو جواب الاستفهام ﴿مِن ماءٍ دافِقٍ﴾ أي من المنيّ. والدّفْق: صب الماء، دفقت الماء أَدْفُقُهُ دفقاً؛ صببته، فهو ماء دافق، أي مدفوق؛ كما قالوا: سِرّ كاتِم: أي مكتوم؛ لأنه من قولك: دُفِق الماء، على ما لم يُسَمَّ فاعله. ولا يقال: دَفَقَ الماءُ[٤]. ويقال: دَفَقَ الله رُوحَه: إذا دُعِي عليه بالموت. قال الفراء والأخفش: ﴿من ماءٍ دافِقٍ﴾ أي مصبوب في الرّحِم. الزجاج: من ماء ذي اندفاق. يقال: دارع وفارس ونابل؛ أي ذو فرس، ودِرع، ونبل. وهذا مذهب سيبويه. فالدافق هو المندفق بشدّة قوّته. وأراد ماءين: ماء الرجل وماء المرأة؛ لأن الإنسان مخلوق منهما، لَكِنْ جعلهما ماء واحد لامتزاجهما. وعن عكرمة عن ابن عباس: ﴿دافِقٍ﴾ لَزِج. ﴿يخرج﴾

---

(١) راجع ٩/ ٢٩١. (٢) آية ٦٥ سورة يوسف. (٣) آية ٥٢ سورة الأنبياء.

(٤) بل يقال ذلك، ونقله صاحب اللسان عن الليث. وانظره أيضاً في «المصباح المنير» للفيومي.

أي هذا الماء ﴿مِن بينِ الصُّلْبِ﴾ أي الظهر. وفيه لغات أربع[١]: صُلْب، وصُلُب ـ وقرىء بهما ـ وصَلَب (بفتح اللام)، وصالب (على وزن قالَب)؛ ومنه قول العباس[٢]:

تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمِ

﴿والترائِب﴾: أي الصدر، الواحدة: تَرِيبة؛ وهي موضع القِلادة من الصدر. قال:

مَهْفهفة بيضاء غيرُ مُفاضةٍ ترائبُها مصقولة كالسَّجَنْجَلِ[٣]

والصُّلْب من الرجل، والترائب من المرأة. قال ابن عباس: الترائب: موضع القلادة. وعنه: ما بين ثدييها؛ وقال عكرمة. ورُوِي عنه: يعني ترائب المرأة: اليدين والرجلين والعينين؛ وبه قال الضحاك. وقال سعيد بن جبير: هو الجِيد. مجاهد: هو ما بين المنكِبين والصدر. وعنه: الصَّدَر. وعنه: التراقي. وعن ابن جبير عن ابن عباس: الترائب: أربع أضلاع من هذا الجانب. وحكى الزجاج: أن الترائب أربع أضلاع من يمنة الصدر، وأربع أضلاع من يسرة الصدر. وقال معمر بن أبي حبيبة المَدَنيّ: الترائب عُصارة القلب؛ ومنها يكون الولد. والمشهور من كلام العرب: أنها عظام الصدر والنحر[٤]. وقال دُريد بن الصمة:

فإن ندبِروا نأخذُكُم في ظهورِكُمْ وإن تقبِلوا نأخذكم في الترائب

وقال آخر:

وبدت كأن ترائباً من نحرها جمرُ الغَضَى في ساعدٍ تتوقد

وقال آخر:

والزعفرانُ على ترائِبِها شِرق به اللبات والنحرُ[٥]

(١) بل هي ثلاث فقط؛ أما صلب بضمتين، فضمة العين إتباع للفاء، وليست لغة ثابتة (انظر «تاج العروس»: صلب). (٢) هو ابن عبد المطلب، يمدح النبيّ ﷺ، وتمام البيت:

إذا مضى عالم بدا طبق

(٣) البيت من معلقة امرىء القيس. والمهفهفة: الخفيفة اللحم، التي ليست برهلة ولا ضخمة البطن. والمفاضة: المسترخية البطن. والسجنجل: المرآة. وقيل: سبيكة الفضة، أو الزعفران، أو ماء الذهب. (٤) في بعض نسخ الأصل: «أنها عظام النهد والصدر».

(٥) البيت للمخبل. وشرق الجسد بالطيب امتلأ فضاق. واللبات (جمع لبة): موضع القلادة.

وعن عكرمة: الترائب: الصدر؛ ثم أنشد:

نِظَـــامُ دُرٍّ علــــى تـــرائبهــــا

وقال ذو الرمّة:

ضَـرَجْـن البـرود عـن تـرائـب حـرّة[1]

أي شققن. ويروى ﴿ضرحن﴾ بالحاء؛ أي ألقين. وفي «الصحاح»: والتريبة: واحدة الترائب، وهي عظام الصدر؛ ما بين الترقوة والثَّنْدُوة.

قال الشاعر:

أشـــرفَ ثَـديــاهــا علــى التَّـرِيــبِ[2]

وقال المثقّب العَبْدِيّ:

ومِن ذَهَبٍ يُسَنّ[3] على تَرِيبٍ ... كلون العاج ليسَ بذي[4] غُضونِ

[عن غير الجوهريّ. الثندوة للرجل: بمنزلة الثدي للمرأة. وقال الأصمعيّ: مَغْرِز الثدي. وقال ابن السكيت: هي اللحم الذي حول الثدي؛ إذا ضممت أوّلها همزت، وإذا فتحت لم تهمز[5]]. وفي «التفسير» يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب. ومن ماء المرأة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدّم؛ وقاله الأعمش. وقد تقدّم مرفوعاً في أوّل سورة ﴿آل عمران﴾[6]. والحمد لله وفي ﴿الحجرات﴾ ﴿إنا خلقناكم مِن ذكرٍ وأنثى﴾ وقد تقدّم[7]. وقيل: إن ماء الرجل ينزل من الدماغ، ثم يجتمع في الأنثيين. وهذا لا يعارض قوله: ﴿من بين الصلب﴾؛ لأنه

---

(١) تمام البيت:

وعـــن أعيـــن قتلتنـــا كـــل مقتـــل

(٢) القائل: هو الأغلب العجلي. وعجز البيت:

لـــم يعـــدوا التفليـــك فـــي النتـــوب

وتفلك ثدي الجارية: استدار. والنتوب: النهود، وهو ارتفاعه. (٣) كذا في بعض النسخ والطبري وفي بعضها: «يسر» بالراء. وفي روح المعاني: «يبين». وفي اللسان وشعراء النصرانية «يلوح».

(٤) في «اللسان» مادة (ترب): «... ليس له غضون». والبيت من قصيدة مكسورة القافية، مطلعها:

أفـــاطـــم قبـــل بينـــك متعينـــي ... ومنعـــك مـــا ســـألـــت كـــأن تبينـــي

(٥) ما بين المربعين ساقط من بعض نسخ الأصل. (٦) راجع ٤/٧. (٧) راجع ١٦/٣٤٣.

إن نزل من الدماغ، فإنما يمرّ بين الصلب والترائب. وقال قتادة: المعنى ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. وحكى الفراء أن مثل هذا يأتي عن العرب؛ وعليه فيكون معنى من بين الصلب: من الصلب. وقال الحسن: المعنى: يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل، ومن صلب المرأة وترائب المرأة. ثم إنا نعلم أن النطفة من جميع أجزاء البدن؛ ولذلك يُشْبه الرجل والديه كثيراً[١]. وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني. وأيضاً المكثر من الجماع يجد وجعاً في ظهره وصلبه؛ وليس ذلك إلا لخلوّ صلبه عما كان محتبساً من الماء. وروى إسماعيل عن أهلِ مكة ﴿يخرج من بين الصُلُب﴾ بضم اللام. ورُوِيت عن عيسى الثقفي. حكاه المهدويّ وقال: من جعل المنِيّ يخرج من بين صلب الرجل وترائبه، فالضمير في ﴿يخرج﴾ للماء. ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة، فالضمير للإنسان. وقرىء ﴿الصَّلَب﴾، بفتح الصاد واللام. وفيه أربعُ لغات[٢]: صُلْب وصُلُب وصَلَب وصَالَب. قال العَجّاج:

فــي صَلَــبٍ مثــلِ العِنــان المــؤدَمِ

وفي مدح النبيّ ﷺ:

تُنقَــل مــن صَــالَــبٍ إلــى رَحِــمِ[٣]

الأبيات مشهورة معروفة. ﴿إنه﴾ أي إن الله جل ثناؤه ﴿على رَجْعِهِ﴾ أي على ردّ الماء في الإحليل، ﴿لقادِر﴾ كذا قال مجاهد والضحاك. وعنهما أيضاً أن المعنى: إنه على رد الماء في الصلب؛ وقاله عكرمة. وعن الضحاك أيضاً أن المعنى: إنه على ردّ الإنسان ماء كما كان لقادر. وعنه أيضاً أن المعنى: إنه على ردّ الإنسان من الكِبَر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الكبر، لقادر. وكذا في المهدِيّ. وفي الماوردِيّ والثعلبيّ: إلى الصِّبا، ومن الصبا إلى النطفة. وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج، لقادر. وقال ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة أيضاً: إنه على ردّ الإنسان بعد الموت لقادر. وهو اختيار الطبريّ. الثعلبيّ؛ وهو الأقوى لقوله تعالى: ﴿يومَ تُبلَى السَّرائِر﴾. قال الماورديّ: ويحتمل أنه على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة؛ لأن الكفار يسألون الله تعالى فيها الرَّجْعة.

---

(١) وقال الأستاذ الإمام في تفسير جزء «عمّ»: كنى بالصلب عن الرجل، وبالترائب عن المرأة.

(٢) انظر ما سبق في ص ٥. (٣) تمام البيت: إذا بدا عالم بدا طبق

وهو من قول للعباس بن عبد المطلب في مدح النبيّ ﷺ.

[٩] ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾.

فيه مسألتان:

الأولى - العامل في ﴿يومَ﴾ - في قول من جعل المعنى إنه على بعث الإنسان - قوله ﴿لقادر﴾، ولايعمل فيه ﴿رَجْعِه﴾ لما فيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر ﴿إنّ﴾. وعلى الأقوال الأخر التي في ﴿إنه على رجْعِه لقادِر﴾، يكون العامل في ﴿يومَ﴾ فعل مضمر، ولا يعمل فيه ﴿لقادر﴾؛ لأن المراد في الدنيا. و ﴿تُبْلَى﴾ أي تمتحن وتختبر؛ وقال أبو الغُول الطُّهَوِيّ[١]:

ولا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحَرْب حِينا بعدَ حِينِ

ويروى ﴿تبلى بَسالتُهم﴾. فمن رواه ﴿تُبلى﴾ - بضم التاء - جعله من الاختبار؛ وتكون البسالة على هذه الرواية الكراهة؛ كأنه قال: لا يُعرف لهم فيها كراهة. و ﴿تُبْلَى﴾ تُعْرَف. قال الراجز:

قد كنتَ قبَل اليوم تَزْدَرِيني فاليومَ أبلُوكَ وتَبْتَلِيني

أي أعرفك وتعرفني. ومن رواه ﴿تَبْلَى﴾ - بفتح التاء - فالمعنى: أنهم لا يضعفون عن الحرب وإن تكررت عليهم زماناً بعد زمان. وذلك أن الأمور الشِّداد إذا تكررت على الإنسان هَدّته وأضعفته. وقيل: ﴿تُبْلَى السرائر﴾: أي تخرج مخبآتها وتظهر، وهو كل ما كان استسره الإنسان من خير أو شر، وأضمره من إيمان أو كفر؛ كما قال الأحوص:

سَيبقى[٢] لها في مُضْمَر القلب والحَشَا سريرةُ ودّ يوم تُبْلَى السَّرائرُ

---

(١) هو شاعر إسلامي، منسوب إلى «طهية»، بضم الطاء، وهي أم قبيلة من العرب.

(٢) كذا ورد في بعض نسخ الأصل و «خزائن الأدب» ١/ ٣٢٢ وفي بعض نسخ الأصل، والشعر والشعراء، و («كتاب الأغاني» ٤/ ٢٤٢ طبع دار الكتب المصرية): «ستبلى لكم...».

الثانية ـ رُوِي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ائتمن الله تعالى خلقه على أربع: على الصلاة، والصوم، والزكاة، والغُسل، وهي السرائرالتي يختبرها الله عز وجل يوم القيامة». ذكره المهدويّ. وقال ٱبن عُمر قال النبيّ ﷺ: «ثلاث من حافظ عليها فهو وليّ الله حقاً، ومن اختانهنّ فهو عدوّ الله حقاً: الصلاة، والصوم، والغُسل من الجنابة» ذكره الثعلبيّ. وذكر الماوَرْدِيّ عن زيد بن أسلم: قال رسول الله ﷺ: «الأمانة ثلاث: الصلاة، والصوم، والجنابة. استأمن الله عز وجل ٱبن آدم على الصلاة، فإن شاء قال صليت ولم يصل. استأمن الله عز وجل ٱبن آدم على الصوم، فإن شاء قال صمت ولم يصم. استأمن الله عز وجل ٱبن آدم على الجنابة، فإن شاء قال اغتسلت ولم يغتسل، اقرءوا إن شئتم ﴿يوم تُبْلَى السرائر﴾»، وذكره الثعلبي عن عطاء. وقال مالك في رواية أشهب عنه، وسألته عن قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾: أبَلغك أن الوضوء من السرائر؟ قال: قد بلغني ذلك فيما يقول الناس، فأما حديث أحدّث[1] به فلا. والصلاة من السرائر، والصيام من السرائر، إن شاء قال صليت ولم يصل. ومن السرائر ما في القلوب؛ يجزي الله به العباد. قال ٱبن العربيّ: «قال ٱبن مسعود يُغفر للشهيد إلا الأمانة، والوضوء من الأمانة، والصلاة والزكاة من الأمانة، والوديعة من الأمانة؛ وأشدّ ذلك الوديعة؛ تُمَثّل له على هيئتها يوم أخذها، فيرمى بها في قعر جهنم، فيقال له: أخرجها، فيتبعها فيجعلها في عنقه، فإذا رجا أن يخرج بها زلت منه، فيتبعها؛ فهو كذلك دَهْرَ الداهرين. وقال أبيّ بن كعب: من الأمانة أن ائتُمنتِ المرأة على فرجها. قال أشهب: قال لي سفيان: في الحَيضة والحمل، إن قالت لم أحِض وأنا حامل صُدّقت، ما لم تأت بما يعرف فيه أنها كاذبة. وفي الحديث «غُسل الجنابة من الأمانة». وقال ابن عُمر: يُبدِي الله يوم القيامة كل سر خفيّ، فيكون زينا في الوجوه، وشينا في الوجوه. والله عالم بكل شيء، ولكن يظهر علامات الملائكة والمؤمنين.

(١) في ابن العربي: «أخذته».

[١٠] ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿فما له﴾ أي للإنسان ﴿مِن قوةٍ﴾ أي مَنْعة تمنعه. ﴿ولا ناصِرٍ﴾ ينصره مما نزل به. وعن عِكرمة ﴿فما له من قوّةٍ ولا ناصِرٍ﴾ قال: هؤلاء الملوك، ما لهم يوم القيامة من قوّة ولا ناصر. وقال سفيان: القوّة: العَشِيرة. والناصر: الحلِيف. وقيل: ﴿فما له من قوّةٍ﴾ في بدنه. و ﴿لا ناصِرٍ﴾ من غيره يمتنع به من الله. وهو معنى قول قتادة.

[١١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١﴾.

[١٢] ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾.

[١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾.

[١٥] ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥﴾.

[١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾.

قوله تعالى: ﴿والسماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾ أي ذات المطر. ترجِع كل سنة بمطر بعد مطر. كذا قال عامة المفسرين. وقال أهل اللغة: الرجْع: المطر، وأنشدوا للمُتَنَخِّل يصف سيفاً شبهه بالماء:

أبيضُ كالرجْعِ رَسُوبٌ إذا ... ما ثاخ في مُحْتَفَلٍ يَخْتلِي

[ثاخت قدمه في الوحل تثوخ وتثيخ: خاضت وغابت فيه؛ قاله الجوهري][١].

قال الخليل: الرجع: المطر نفسه، والرجع أيضاً: نبات الربيع. وقيل: «ذاتِ الرجعِ»: أي ذات النفع. وقد يُسمى المطر أيضاً أَوْبا، كما يسمى رَجْعا، قال:

رَبَّاء شَمَّاءُ لا يأوِي لِقُلّتِها ... إلا السحابُ وإلا الأوبُ والسَّبَلُ[٢]

(١) ما بين المربعين ذكر في هامش بعض نسخ الأصل. والمحتفل: أعظم موضع في الجسد. ويختلى: يقطع. (٢) البيت للمتنخل الهذلي. قال السكري في شرح هذا البيت: «رباء يربأ فوقها؛ يقول لا يدنو لقلتها، أي لرأسها. أي لا يعلو هذه الهضبة من طولها. إلا السحاب والأوب. والأوب: رجوع النحل. والسبل: القطر حين يسبل».

وقال عبد الرحمن بن زيد: الشمس والقمر والنجوم يَرْجعن في السماء؛ تطلع من ناحية وتغيب في أخرى. وقيل: ذات الملائكة؛ لرجوعهم إليها بأعمال العباد. وهذا قَسَم. ﴿والأرض ذاتِ الصَّدْعِ﴾ قَسَم آخر؛ أي تتصدّع عن النبات والشجر والثمار والأنهار؛ نظيره ﴿ثم شَقَقْنا الأرض شَقا﴾[١]. . . الآية. والصدع: بمعنى الشّق؛ لأنه يصدع الأرض، فتنصدع به. وكأنه قال: والأرض ذات النبات؛ لأن النبات صادع للأرض. وقال مجاهد: والأرض ذات الطُّرُق التي تَصْدَعها المشاة. وقيل: ذاتِ الحَرْث، لأنه يصدعها. وقيل: ذاتِ الأموات: لانصداعها عنهم للنشور. ﴿إنهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ على هذا وقع القَسَم. أي إن القرآن يَفْصل بين الحق والباطل. وقد تقدّم في مقدمة الكتاب[٢] ما رواه الحارث عن عليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتاب فيه خَبَر ما قبلكم وحُكم ما بعدكم، هو الفَصْل، ليس بالهزل، من تركه من جَبَّار قَصَمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله». وقيل: المراد بالقول الفصل: ما تقدم من الوعيد في هذه السورة، من قوله تعالى: ﴿إنه على رجعِهِ لقادِر. يوم تُبْلَى السرائر﴾. ﴿وما هُوَ بِالهزْلِ﴾ أي ليس القرآن بالباطل واللعب. والهزل: ضدّ الجِدّ، وقد هَزَلَ يَهْزِل. قال الكميت.

يُجَدّ بنا في كلِّ يومٍ ونَهْزِل[٣]

﴿إنهم﴾ أي إن أعداء الله ﴿يكِيدون كَيْدا﴾ أي يمكرون بمحمد ﷺ وأصحابِه مَكرا. ﴿وأَكِيد كيداً﴾ أي أجازيهم جزاء كيدهم. وقيل: هو ما أوقع الله بهم يومَ بدرٍ من القتل والأسر. وقيل: كَيْد الله: استدراجُهم من حيث لا يعلمون. وقد مضى هذا المعنى في أوّل ﴿البقرة﴾، عند قوله تعالى: ﴿الله يستهزِىء بِهم﴾. مستوفًى[٤].

---

(١) آية ٢٦ سورة عبس.

(٢) راجع ١/٥ طبعة ثانية أو ثالثة.

(٣) صدر البيت:

أرانا على حب الحياة وطولها

(٤) راجع ١/٢٠٨ طبعة ثانية أو ثالثة.

[١٧] ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فمهلِ الكافِرين﴾ أي أخرهم، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم، وارضَ بما يدبره[١] في أمورهم. ثم نسخت بآية السيف ﴿فاقتلو المشرِكين حيث وجدتموهم﴾[٢]. ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد. ومَهْل وأمهِل: بمعنى؛ مثل نزِّل وأنْزِل. وأمهله: أنظره، ومهله تمهيلاً، والاسم: المُهْلَة. والاستمهال: الاستنظار. وتَمهَّل في أمره أي اتّأد. واتْمَهَلّ اتمِهْلالا: أي اعتدل وانتصب. والاتْمِهلال أيضاً: سكون وفتور. ويقال: مهلا يا فلان؛ أي رِفقا وسكونا. ﴿رُوَيْدا﴾ أي قريبا؛ عن ابن عباس. قتادة: قليلا. والتقدير: أمهلهم إمهالاً قليلاً. والرُّوَيْد في كلام العرب: تصغير رُوْد. وكذا قاله أبو عبيد. وأنشد:

كأنّها ثَمِلٌ يمشِي على رُودِ[٣]

أي على مَهَل. وتفسير ﴿رُوَيدا﴾: مَهْلا، وتفسير (رُوَيْدَك): أمهِل؛ لأن الكاف إنما تَدْخله إذا كان بمعنى أفعِل دون غيره، وإنما حرّكت الدال لالتقاء الساكنين، فنُصِب نصب المصادر، وهو مصغر مأمور به؛ لأنه تصغير الترخيم من إرواد؛ وهو مصدر أَرْوَد يُرْوِد. وله أربعة أوجه: اسمٌ للفعل، وصفة، وحال، ومصدر فالاسم نحو قولك: رُوَيْدَ عَمْرا؛ أي أروِد عمرا، بمعنى أمهِله. والصفة نحو قولك: ساروا سيراً رُوَيْدا. والحال نحو قولك: سار القوم رُوَيْداً؛ لما اتصل بالمعرفة صار حالا لها. والمصدر نحو قولك: رُوَيْدَ عَمرِو بالإضافة؛ كقوله تعالى: ﴿فضَرْبَ الرقابِ﴾[٤]. قال جميعه الجوهريّ. والذي في الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتاً للمصدر؛ أي إمهالا رُوَيدا. ويجوز أن يكون للحال؛ أي أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب. ختمت السورة.

---

(١) في بعض النسخ «يريده». (٢) آية ٥ سورة التوبة.

(٣) هذا عجز بيت للجموح الظفري. وصدره:

تكاد لا تثلم البطحاء وطأتها

(٤) آية ٤ سورة محمد.